القوي

من أسماء الله الحُسنى القوي ، وقد ورد في الكتب التي تناولت هذه الأسماء بالدراسة الاسمان معاً « القوي المتين » ، فهذا الاسم في ترتيب أسماء الله الحُسنى يأتي مع المتين . . القويُّ المتين ، وبينهما مشاركةٌ في أصل المعنى فلنبدأ باسم القويّ .

الإنسان يعجب بالقوَّة ، ويتأثَّر بالكمال ، وأحياناً يتأثَّر بالقوَّة وأصحابها ، فالله سبحانه وتعالى يجمع في أسمائه بين الكمال والجلال ، فقد قال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

قد تجد مجموعة صفات أساسها الرحمة ، كاللطف ، والشفقة ، والعناية ، والحرص ، وهناك أسماء أساسها القوَّة كالقهَّار ، والجبَّار ، والقوي ، والمتين ، فالإنسان كما يتأثَّر تأثُّراً بالغاً بالكمال الإلهي ، فهو أيضاً يتأثَّر تأثراً بالغاً بالجلال الإلهي ، لأنَّ الإنسان ضعيف ، وكل إنسان ضعيف يميل إلى أن يحتمي بقويّ .

منذ يومين حدثت مناقشة عن سر هذه الديانات الوثنيَّة ؟ كمن يعبد الشمس ، أو يعبد البقر ، أو إله مختلف كبوذا ، ذلك لأنَّ الإنسان مفطور على تعظيم القويّ ، ولأنَّه ضعيف لا تركن نفسه إلا

إلى قوي ، فإذا ضلَّ الإنسان عن الله يلجأ إلى ما يتوهَّم أنَّه قوي ، لذلك الحاجة إلى التديُّن حاجة أساسيَّة .

لك صديق قوي تطمئن إليه ، وتقول : معي رقم هاتفه ، وتشعر أنَّ أية مشكلة ستحلُّ عن طريقه ، وهذا بالطبع شرك وجهل وخطأ ، وعليك أن تشعر أنَّك عبد لقوي ، عبد لغني ، فالله الذي تعبده بيده كلُّ شيء ، الذي تعبده إليه مرجع كلُّ شيء ، الذي تعبده قادرٌ على كلِّ شيء ، الذي تعبده غني وقوي وحكم عدل ، فهذا سر توازن نفسيَّة المؤمن لأنَّه يركن إلى قوي .

المؤمن ضعيف بنفسه ولكنَّه قوي بربِّه ، وهذه القوَّة ليست ذاتيَّة ولكنَّه قوي بقوَّة الله ، غنيٌّ بغنى الله ، مطمئنٌ لأنَّ الله طمأنه ، متوازنٌ لأنَّ الله بشرّه . . فلذلك اسم القوي اسمٌ يبعث في النفس الطُّمأنينة .

أحياناً تكون علاقة الإنسان مع شخص ضعيف ، يقول له : والله لم أستطع خدمتك ، فقد كان بودِّي أن أفعل ولكن عيني بصيرة ويدي قصيرة ، فلا بدَّ لمعاملتك من موافقة الجهة الأعلى ، ولكنَّها لم تتوافر لدي ، فأنت معتمد عليه وواضع كل الثقة فيه ، وتعتقد أنَّه يستطيع أن يقوم لك بهذه الخدمة ، ولكنَّه اعتذر لأنَّه ضعيف فصغر في عينيك ، وما عُدت تعتزُّ به .

أما إذا اعتزَّ الإنسان بالله عزَّ وجلَّ فهو أقوى الأقوياء ، فهو ملك الملوك ومالك الملوك ، فليس من الصعب أن تكون عبداً لله القوي ، اصدق في التوجه إليه ، واعتمد عليه ، وعندئذٍ أنت قويٌّ من قوَّة الله ، غنيٌّ من غنى الله عزَّ وجلَّ .

قال العلماء : مادَّة القوَّة تدلُّ على شدةٍ خلافَ الضعف ، فالقويُّ

عكسُ الضعيف ، ورجلٌ شديد القِوى أي شديد أسر الخلق .

أحياناً تركب مركبة ومعك خمسة أشخاص في طريق صاعد صعوداً شديداً ولكنَّها تسير ، معنى ذلك أنَّ المحرِّك قوي ، أحياناً تجد في الميناء البحري رافعة ترفع حاوية كبيرة زنة عشرين أو ثلاثين طناً فالرافعة قويَّة ، وأحياناً ترى باخرة تبلغ حمولتها مليون طن كبعض ناقلات النفط ، تسير بمحرِّك جبَّار .

تجد آلات تقوم بهدم بناء بأكمله ، هذه أمثلة أمامنا ، ولكن هذا الجبل من يزحزحه ؟ تجد بعض الجبال تؤخذ منها الرمال ـ مقالع ـ فمنذ أربعين سنة يؤخذ منه يومياً مئة سيَّارة ولا يزال شكله كما هو ، فبمحافظة السويداء يوجد جبل نادر في القطر يمدُّنا برمل مفرَّغ مثل الإسفنج ، وأعرف أنه منذ أكثر من عشرين سنة تعبأ منه كل يوم مئة سيارة من الرمال السوداء والجبل ما يزال كما هو ، فمن يستطيع أن يزحزح جبلاً ؟

توجد شركة في ألمانيا قامت بنقل بناء كان يجب أن يُهدم ، فقامت هذه الشركة بتقديم عرض تنقل هذا البناء بنصف كلفة بنائه ، فقامت بفصل الأساسات ورفعها على عجلات وربطت المجاري وأسلاك الكهرباء والهاتف وبشرط أنَّ السكان لم يغادروه! ونقل ثلاثين متراً وهذا البناء مؤلَّف من ستة طوابق ، فهذه الشركة العملاقة التي قامت بهذا العمل تشعر بأنها شركة جبَّارة ، وهذه الأمثلة أرضيَّة .

لكن حينما ترى أنَّ الأرض تدور بسرعة ألف وستمئة كيلو مترٍ في الساعة . . أسرع طائرة تسير بسرعة من تسعمئة إلى ألف كيلو مترٍ وبعض الطائرات الأسرع من الصوت كطائرة ـ الكونكورد ـ تقترب من

سرعة الأرض حول نفسها ، الأرض كم يبلغ وزنها ؟ فانظر إلى موقع سورية على خريطة كبيرة تجدها لا تتسع لكلمة دمشق العاصمة وبحروف صغيرة ، فما بالكم بقارة آسيا ، أو قارة إفريقية ، أو قارة أمريكا ، أو قارة أستراليا ، القارات الخمس ، وهذه القارات تبلغ خمس اليابسة في المساحة وأربعة الأخماس الباقية بحر ، فهذه الكرة الأرضية من يديرها ؟ ومنذ كم من السنين ؟ والشمس تتسع لمليون وثلاثمئة ألف كرة من حجم الأرض ، والشمس والمجموعة الشمسية كلها نقطة على درب التبانة ، ودرب التبانة مجرَّة على شكل عضلة ، تراها في أيام غياب القمر كسحابة بيضاء في السماء على شكل مغزلي وهذه هي مجرَّتنا ، والمجموعة الشمسية بأكملها بجميع كواكبها كالأرض والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة وبلوتو وزحل. . . وإلى آخره نقطة على هذه المجرة ، فمن يدير هذا الكون ؟ فأنت مع القوي. . الذي بيده كلُّ شيء .

قال : القوة تدلُّ على القدرة التامة .

الإنسان يحمل علبة مكعبة الشكل طولها مثل عرضها مثل ارتفاعها ويبلغ ضلعها ستين سنتيمتراً ، أما لو حمَّلْناهُ علبة بداخلها مواد ثقيلة فتجده لا يقوى على حملها ، ولو حمل إنسان صندوقاً من الحديد وزنه ثلاثمئة كيلو غرامٍ فتجد نفسك قد عظَّمته كيف حمله ؟ ولو أنّ صخرة مكعبة الشكل ، طول ضلعها خمسة أمتار ، وطلبت من إنسان أن يزحزحها فلن يستطيع ، فهذا فوق طاقته ، فما بالك بالجبال ؟ . . جبال الهيمالايا مثلاً يبلغ ارتفاعها ٨٨٨٢ م ، ولها قاعدة تغوص تحت الأرض أربعة وعشرين ألف متر ، فجميع الجبال ثلثها فوق الأرض وثلثاها تحت الأرض ، فمن خلق هذه الجبال ؟ ومن ألقاها في

الأرض رواسي أن تميد بكم ؟ من جعلها أكناناً ؟ من جعلها أوتاداً ؟ ومن جعلها مصدَّاتٍ للرياح ؟ من جعلها مستودعاتٍ للمياه ؟ من جعلها قمماً عاليةً ذات مناخ لطيف ؟ الله عزَّ وجلَّ .

الإنسان عندما ينسى الله ويخضع لقوي من بني البشر ويمحضه كلَّ ودِّه ، وكلَّ ولائه وهو ليس على حق ، يكون هذا الإنسان قد ضيَّع نفسه وباعها بثمنٍ بخس ، أما إذا عرف الله وجعل كلَّ طاقاته لله عزَّ وجلَّ فيكون قد عرف قيمة نفسه . . أساساً ما عرف قيمة نفسه إلا من باع نفسه لله ، لأنَّه أحسن الاختيار .

قال العلماء : « **القوة تدلُّ على القدرة التامة ، والمتانة تدلُّ على شدَّة القوة** » .

أحياناً نريد قوة تحمل هذه الطاولة ، القوة تدلُّ على القدرة التامة ، أما لو رفعت هذه الطاولة رافعة إمكانها أن ترفع خمسين طناً ، فإن هذه القوة تكون تامَّة ومتينة ، تامة أي كافية لإنجاز هذا العمل ، أما عندما يكون معها احتياطي يبلغ مئة ضعف تكون متينة .

فقالوا : القوة تدلُّ على القدرة التامة ، والمتانة تدلُّ على شدَّة القوة . . إلاّ أنَّه في المصطلحات الحديثة . . المتانة والقساوة ، فالقساوة هي تحمُّل قوى الضغط ، أما المتانة فهي تحمُّل قوى الشد ، فعندنا قوى للشد وقوى للضغط ، فلو وضعنا يدنا فوق مكعب من الفخار موضوعاً على الطاولة وضغطنا ، فإذا كسر نقول : إنَّ قوى الضغط الواقعة عليه عالية وكبيرة جداً حتى إنَّ هذا المكعب سحق ، أما إذا كان لدينا خيط وأردنا أن نمتحن متانته فإننا نشدُّه فإذا قُطع نقول متانته ضعيفة ، فالقساوة تحمل قوى الضغط ، أما المتانة فتحمل قوى الشد .

لا بد من وقفة قصيرة عند عظمة الخالق ، لا تخطر على بالك أن أسنانك فيها قوة بالغة ، فميناء الأسنان هو ثاني عنصر قاسٍ في هذا الكون بعد الماس ، لا يزيد عليه في قساوته إلا الماس ، وهذا الإنسان خلق من ماءٍ مهين ، وهذا الماء صار عظاماً قاسيةً وصار ميناء قاسياً .

إذاً : تمام القوة أن تؤدي مهمتها ، أما متانة القوة فأن تكون هذه القوة بالغة الشدَّة ، فالله تعالى من حيث إنَّه بالغ القدرة تامُّها قوي ، ومن حيث إنَّه شديد القوة متين ، إذاً هو قويٌّ متين ، فكلمة قوي أي تعلَّقت قوَّته بكلِّ ممكن ، فكل شيءٍ ممكنٍ قدرتُه تغطيهِ ، وقوته شديدة أي : متينة .

الله ـ جلَّ جلاله ـ صاحب القدرة التامَّة البالغة الكمال ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ . . قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود : ٦٦] .

فالضعيف ليس عزيزاً ، الضعيف تضعف عزَّته أمام أيِّ شيء ، فقد يخجل الإنسان أحياناً فخجله ضعف ، وإذا لم يعرف يصغر ويضعف ، وإذا لم يتمكَّن من حمل شيء يصغر ، وإذا كانت توقَّفت آلته أمام عقبةً كأداء يصغر ، أما العزَّة فألا ينالك أحد فمعنى ذلك أنت عزيز ، فمن لوازم العزَّة القوة ، فالله سبحانه وتعالى قويٌّ عزيز . . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ . . ولا ننسى أن كلمة (هو) تفيد الحصر والقصر .

وقيل القوي : « **هو المتناهي في القوة التي تتصاغر كلّ قوةٍ أمام**

حضرته ، ويتضاءل كلُّ عظيمٍ عند ذكر عظمته » ، فالله تعالى أعطى الملائكة قوةً كبيرة يستطيع المَلَك بها أن يقتلع الجبال ويقلب المدن .

فمن الممكن أن يأتي إعصار على أمريكا ويدمِّر مدينة بأكملها ولا يُبقي فيها شيئاً ، فقد قرأت عن إعصار قبل ثلاثين عاماً بلغت سرعته ألف كيلو مترٍ وهو من أعتى أنواع الرياح أتى على مدينة ، وكان فيها بناء ضخم ومتين ، فصاحبه لم يجد أثراً لبنائه ، وقد وجد محرِّك مركبته بعد أكثر من خمسة كيلو مترات من موقع البناء .

وأحياناً المياه تدمِّر كلَّ شيء ، والنار تحرق كلَّ شيء ، تجد حريقاً بالغابات قضى على مئتين وخمسين دونماً ، أو على ألفين وخمسمئة دونم ، فالله عزَّ وجلَّ قوي .

ومن الشيء الغريب أنَّ الأشياء الأساسيَّة في حياتنا تنقلب إلى قوى مدمِّرة ، فالهواء مثلاً أساسي في حياتنا ينقلب إلى مدمِّر كالرياح المدمرة ، والماء أساسي في حياتنا ينقلب إلى قوة مدمِّرة .

فقد ذكر الله تعالى في القرآن عن هذا الذي أتى بعرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى سيدنا سليمان في بيت المقدس فقال : ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ . . فقد قال تعالى :

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل : ٤٠] .

عندما أرادوا إنشاء السد العالي بمصر ، كانت البحيرة خلف السد ستغمر معبداً كبيراً بالمياه ، فتعاونت أكثر من سبعين دولة على نقل هذا المعبد بما فيه بعد أن قطِّع على شكل مكعبات ، واشترك في ذلك

شركات عملاقة ، وبروافعها العملاقة تم نقله من مكانه إلى مكان آخر ، فقلت : سبحان الله هذا عرش بلقيس نقل من سبأ في اليمن إلى بيت المقدس في أقلَّ من لمح البصر ، وهذا ما يذكره القرآن الكريم ، لهذا فالملائكة والجن أُعطوا قدرات تفوق حدَّ الخيال ، لذلك قال تعالى :

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ﴾ [الرحمن : ٣٣] .

لماذا بدأ بالجن ؟ قال : لأنَّ الجنَّ أقدر من الإنس على خرق السموات والأرض ، والنبي الكريم ﷺ ـ كما روى الترمذي ـ أنه رأى جبريل قد سد الأُفق ، فالملائكة أُوتوا قدراتٍ عالية المستوى ومع ذلك يخشون سطوته سبحانه ، ويرتعدون من هيبته .

وقيل القوي « **هو الذي له كمال القدرة والعظمة** » ، له كمال القدرة لا يعجزه شيء ، فأحياناً تجد رافعات تقف أمام عقبة كأداء ، أو تجد سيارات في طريق شديد الصعود تقف ولا تكمل الطريق ، وآلات تعجز عن متابعة المهمَّات ، والله بالغ القدرة لا يعجزه شيءٌ في السموات ولا في الأرض ، فأنت مدعو لأن تكون عبداً للإله القوي ، فإذا كنت عبداً له كنت قوياً بقوَّته .

قال العلماء : « **غالب لا يُغْلب ، يجير ولا يُجار عليه ، فقوَّته فوق كلِّ قوة** » .

قد تجد في الحروب الحديثة دولة قوية عندها من الأسلحة المتطوِّرة فتأتي دولة أقوى منها تحيِّد أسلحتها كلَّها ، يكون لديها سلاح ذو فاعليَّة شديدة جداً ، كأن يقولوا مثلاً : قنبلة تركب من أشعة

الضوء المركَّز ـ أشعة الليزر ـ ، أو قنابل عنقودية أو قنابل ذكيّة ، فهذه الدول المالكة للأسلحة الفتّاكة تتفوَّق على الدول الأقل منها قوةً ، إذاً الدولة الضعيفة ليست عزيزة . لكن الله : « **غالب لا يُغْلب ، يجير ولا يُجار عليه ، فقوَّته فوق كلِّ قوة** » .

وقيل : « **هو الذي لا يلحقه ضعفٌ في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله** » .

ألا ترون إلى مصارعين أشدَّاء ، رياضيِّين ، عدَّائين ، ففي الرياضة كثير من الفروع ، انظر إلى هذا البطل في سنِّ الثمانين تجد ظهره قد انحنى ويده ترتجف ، ويصعد درجات السلَّم درجة درجة ، فقد كان في بلاد الشام رجل قوي إذا أمسك عربة يجرُّها حصانان قويان وشديدان يوقفها وقد حدثني رجل توفي ـ رحمه الله ـ كان يركب في مركبة عامة وصعد إلى جانبه هذا البطل الشديد فرجا السائق أن يوقف له المركبة أمام بيته لأنَّه لا يقوى على أن يمشي مسافة عشرة أمتار ، رجاه رجاء طفولياً . . أين قوَّته ؟ تلاشت .

اسم القوي جاء في سبع آيات . . الآية الأولى في سورة هود قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ .

أنا أركِّز على كلمة « **هُوَ** » أي هو وحده القوي العزيز ، فما بال الأقوياء في الأرض ؟ قوَّتهم مستمدَّة من قوة الله ، فلو تخلَّى عنهم لأصبحوا ضعفاء .

أضرب لكم مثلاً على ذلك . . ففي معامل الحديد توجد رافعات تعمل بالجذب الكهربائي المغناطيسي ، سطح مربع كبير جداً محاط

بوشيعة كهربائية يمر بها تيار كهربائي ، فيمكن أن تحمل عشرة أطنان من الحديد ، ولسهولة العمل في هذه المعامل تنتقل الرافعة من مكان إلى مكان ، ويكفي أن تسري الكهرباء في الأسلاك فتحمل عشرة أطنان ، والعامل في هذه الرافعة لو ضغط على زر في أقل من عشر المليمتر يفصل الكهرباء عن هذه الخطوط فتجد كل ما علق في الرافعة يسقط ، وذلك عن طريق عملية الضغط على الزر .

الله عزَّ وجلَّ قوي ، وإذا منح القوة لأشخاص فبأي ثانية يجعلهم ضعافاً ، لا يقدرون على شيء ، إن الله هو القوي ، فقوة الأقوياء من قوته ، وفي أية لحظةٍ يسلبهم هذه القوة ، والله إذا أعطى أدهش وإذا سلب فتَّش .

جاء في الآية الكريمة كلمة « ربك » التي تذكرني بأنها أقرب اسم للإنسان ، فالرب هو الذي يربيك ، هو الذي يرعاك ، هو الذي يربي جسدك ، ويربي روحكَ ، ويربي نفسك ، ويعطيك ويمنعك ، ويقلبك على أحوال شتَّى ، إن ربك الذي يربيك هو وحده ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ . فاطمئن ، فتوكل عليه ، والتفت إليه ، وأقبل عليه ، وأخلص له ، ولا تلتفت إلى أحدٍ سواه ، لأنهم لاشيء إلى جانبه .

والآية الثانية في سورة الشورى كما قال تعالى :

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى : ١٩] .

ربي ما أعظمك! سبحانك! ، يا قوي! يا لطيف! ، هناك قوي غير لطيف ، أعماله كلها قاسية . . أما ربنا عزَّ وجلَّ فمع أنه قويٌّ عزيز فإنه لطيفٌ بعباده ، فالهواء لطيف ، والماء لطيف ، والأرض فيها لطف إلهي كبير ، وإذا أراد ربنا عزَّ وجلَّ أن ينزع سن طفل دون أن يشعر

بأي ألم على الإطلاق ينزعه وهو يأكل ، يراه في فمه مع لقمة الطعام ، أما أي طبيب فإنه إذا أراد أن ينزع سن طفل فلابد من أن يؤلمه ، فالله لطيف .

فالماء له سيولة عالية جداً ولكنَّه مدمر أحياناً ، والهواء لاتراه بعينك ولكنَّه يحمل طائرة وزنها ثلاثمئة وخمسين طناً ، فالهواء يحملها . . فاللطف الإلهي واضح جداً في كل شيء .

وفي سورة الأنفال قال تعالى :

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٥٢] .

في الآيتين الأولى والثانية القوي ورد مع العزيز ، فيها تناسب ، أما في الآية الأخيرة قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ عقابه أليم لأنه قوي ، والإنسان لايخاف تهديد الضعيف . . فقد قيل :

زعم الفرزدقُ أن سيقتل مربعاً أبشر بطولِ سلامةٍ يامربعُ

إذا هددك إنسان ضعيف لاتعبأ بتهديده ، أما القويُّ إذا هدد فهذا شيء مخيف . . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ . . لاتعاند من إذا قال فعل .

وقد قال تعالى في سورة الحج :

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

﴿ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ . . ﴿ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

وقال الله تعالى في سورة الحج أيضاً :

﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٧٤] .

قال بعضهم : « **عرفت الله من نقض العزائم** » . . أحياناً جهةٌ في الأرضِ قويةٌ جداً ترتب وتخطط وتحكم ، فإذا كلُّ إحكامها وخطتها وتدبيرها يذهب هباءً منثوراً . . عرفت الله من نقض العزائم . . ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

فالإنسان في حركتهِ اليومية في الحياة يجب أن يدخل في حساباته أنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

فقريش جاءت على بكرة أبيها ومعها حليفاتها من القبائل ، جاؤوا ليستأصلوا الإسلام في معركة الخندق ، فالمسلمون لم يحاربوا أحداً ولكن الله أرسل على عدوهم رياحاً عاتيةً اقتلعت خيامهم وقلبت قدورهم وأطفأت نيرانهم فلم يحتملوا ، هذه الرياح وما نتج عنها قد قال تعالى فيها :

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

في برمودا مثلث إلى الآن هو سر ، طائرات عملاقة تطير فوقه فتسقط في المياه بلا أي خبر يعرف عنها ، بواخر عملاقة تدخل فيه فتختفي ، وحتى الآن لايزال هذا المثلث سراً من أسرار الأرض ، كل ما قيل من تحليلات فهي غير كافية لما يجري في هذا المثلث ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

وقد قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ .

وموضوع قوة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أكثر ما تبدو في الحروب . . فتجد

أنه على الرغم من الإعداد الشديد للحرب يخسرها طرفٌ دون آخر لأسبابٍ تافهة .

يحضرني خاطرة : الحروب ثلاث : حربٌ لا تكون ، وحربٌ لا تطول ، وحربٌ لا تنتهي . . الحرب بين حَقَّيْن لا تكون ، فالحق لا يتعدد ، والحرب بين حقٍ وباطلٍ لاتطول لأن الله مع الحق ، والحرب بين باطلين لاتنتهي لدخول العوامل الأرضية ، الأقوى والأذكى ومن عنده سلاح أكثر جدوى .

وقد قال تعالى في سورة غافر :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۖ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر : ٢٢] .

وقد قال تعالى في سورة الحديد :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

فإنك تجد أحياناً سريراً معلَّقاً على سلاسل ، آخر السلسلة يوجد قطعة على شكل حرف (إس S) قطره أقل من أربعة مِليمترات يحمل هذا السرير وعليه خمسة أشخاص وهو يتحرك ، ألا تعجب لهذا الحديد الذي يحمل هذا الوزن ؟ وقد تجد أحياناً ـ تلفريك ـ وهو مؤلف من غرف ما بين الغرفة والغرفة خمسون متراً ، مئتا غرفة محمولة على شريط حديدي ، المصاعد الكهربائية تعلَّق بالفولاذ المضفور وهو متين جداً ، هذا هو الحديد الذي أنزله الله فيه بأس شديد ومنافع للناس .

وقد قال تعالى في سورة المجادلة :

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢١] .

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ . . الله ليس عنده كتابة ، لكن كلمة كتب لإقناع عباده أن هذا شيءٌ ثابت . . نحن في حياتنا الشيء المكتوب ثابت ، يقول لك : معي عقد ، أو معي إيصال ، أو معي سند ، معي تصريح ، معي إقرار ، كل شيء مكتوب ثابت ، أما الشفهي فضعيف ، فالله عزَّ وجلَّ ليس عنده كتابة . . عنده كن فيكون . . ولكن تقريباً لأذهان عباده .

قال الله تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

آخر آية وهي دقيقة جداً كما قال تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

الإنسان غير المؤمن قد يخضع لقوي لتأثره بالقوة ولا يخضع لله ، يتأثَّر بقوة الجمال فيخضع لهذا الجمال ولا يخضع لله ، يتأثر بقوة العطاء فيخضع للمعطي ولا يخضع لله .

فهذا الذي عصى الله من أجل الناس ، من أجل الأقوياء ، أو الكرماء ، أو من أجل المتع الرخيصة . . هذا الذي عصى الله من أجل الناس لو كان يعلم قبل أن يعصيه أن القوةَ لله جميعاً ، قوة العطاء من عند الله ، وقوة الجمال من عند الله ، وقوة كل شيءٍ من عند الله ، لو كان يعلم هذا حق العلم لما عصاه .

فلو عرفت أن مصدر القوة هو الله عزَّ وجلَّ ما عصيته وأطعت مخلوقاً .

قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف : ٣٩] .

انظر إلى عبارة . . ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ .

عن عبد الله بن علقمة بن وقَّاص عن علقمة بن وقاص قال : إني لَعِند معاوية إذ أذّن مؤذنه فقال معاوية كما قال مؤذنه حتى قال المؤذن : حيَّ على الصَّلاةِ قال : لاَحَولَ ولاَقُوةَ إلاّ باللهِ ، فلما قال : حيَّ على الفَلاَحِ قال : لاَحَولَ ولاَقُوةَ إلا بالله (ولا حول ولا قوة إلا بالله قيل معناه لا حول عن المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيق الله . وقيل : الحول الحركة تقول حال الشخص إذا تحرك فالمعنى لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله) .

وقال بعد ذلك ماقال المؤذن : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول مثل ذلك [رواه النسائي]

أنت بحاجة إلى قوة على طاعته . . ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ قال الله تعالى على لسان يوسف :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

أنت بحاجة إلى قوة على طاعته ، لاقوة إلا بالله ، لاقوة على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إلا بالله ، الله هو القوي ، وكلّ الأقوياء يستمدون قوتهم من الله عزَّ وجلَّ .

قال الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت : ١٥] .

فأحياناً الإنسان لجهله يتكلَّم كلمات توحي بكفر ، يقول لك : لو أنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ شاء لم أفعل هذا الشيء ، يقولها الجهلة ، هذه الكلمة كلمة كفر ، فالله عزَّ وجلَّ قادر بلحظة أن يفنيه . . كن فيكون ، زُلْ فيزول ، لكن بعض الجهلة يقولون مثل هذه الكلمات التي هي كفر بواح وهم لا يشعرون بما يقولون . . فالإنسان كلما ازداد علمه ضبط لسانه واستقام كلامه وسلوكه .

وقد قال الله تعالى في سورة الذاريات :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

يرزق لأنه قوي ، فالضعيف لايرزق .

وبعد فماذا نستفيد من هذا الاسم (القوي) . . . نستفيد من هذا أن الإنسان المؤمن إذا عرف قوة الله تواضعَ ، لا يجتمع كبر مع معرفة قوة الله عزَّ وجلَّ ، أنت لاشيء إزاء قوة الله عز وجل ، فكلما تمت معرفتك بقوة الله تلاشت قدراتك أمام قوَّته ، فأصبحت متواضعاً ، والتواضع علم ، المتواضع يعلم حجمه أنه لاشيء وأن الله هو كل شيء .

إذا عرف قدرة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وقوته يتواضع له فيزيده الله قوةً إلى قوَّته ، أما إذا وضعه الله في مكانٍ قوي واعتدَّ بقوَّته فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ يجعله مثلاً في الضعف ليتَّعِظ العباد به ، يجعله عبرة لغيرة .

إنّ الإنسان أحياناً يعتدُّ بقوَّته أو بماله أو بعمله ، فإذا اعتدَّ بقوَّته

ونسي قدرة الله . . عليه أن يتذكر مقولة الرسول ﷺ « **اعلم أبا مسعود! الله أقدر عليك منك عليه** » .

وقف رجل أمام الحجَّاج فقال له : أسألُك بالذي أنت بين يديه أذلُّ منّي بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، فما كان إلا أن عفا الحجَّاج عنه .

ثم لنذكر المعنى الثاني . . إذا نسيت قدرة الله عزَّ وجلَّ جعل الله هذا القوي المتعالي عبرةً لخلقه ، فمن أجل أن تزداد قوةً إلى قوَّتك اعرف حجمك الحقيقي وتواضع لله عزَّ وجلَّ ، واعترف أمامه بضعفك يزدك قوةً إلى قوَّتك .

ما من اسمٍ من أسماء الله الحُسنى إلا وله تطبيقات ، ففي الحقيقة عندما يتعرَّف الإنسان إلى الله عزَّ وجلَّ يسلك سلوكاً صحيحاً ، فيصبح كلامه سديداً ، وحركته أديبة ، وطاعته لله متينة ، وإخلاصه شديداً لأنَّه عرف الله ، وأصل الدين معرفة الله عزَّ وجلَّ ، والإنسانإذا عرف الله عرف نفسه ، أما إذا جهل ربَّه فقد جهل سرَّ وجوده وغاية وجوده ، فتجاذبه قوى الأهواء وترديه صريعاً .

اللهمَّ أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارضَ عنَّا ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آلهِ وصحبه وسلَّم .

* * *